القصص الديني

الحلقة الثانية

قصص السيرة

مولد الرسول

عبد الحميد جودة السحار

٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
وَإِسْمَاعِيلُ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً
مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ
أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(قرآن كريم)

١

خَرجَ رجالٌ من مكةَ يُريدونَ الشَّام ، وفيما هُمْ بِبَعضِ الطَّريق إذ مرُّوا على راهبٍ منقطع عن النّاسِ يعبدُ اللّه ، ففكَّر أربعةٌ منهم فى أن يُعرِّجوا على ذلكَ الرّاهب ، يتحدَّثون معه ، وكان الرُّهبانُ أهلَ علم ، وكانت أحاديثُهم تُدهشُ العربَ الذين ما كانوا يعرفُون إلا التجارةَ أو اللّهو .

دخلوا على الرّاهب ، وجلسوا يتحدّثون إليه ، فقال لهم :

ـ من أين أنْتم ؟

ـ من مكة .

فقال : إن اللّــه سـيبعثُ فيكـم نبيًّـا وشـيكا ، فَسارِعوا إليه ، وخُذُوا حظّكم تَرْشُدُوا .

فنظرَ إليه الرِّجالُ فى دَهش ، وقالوا :

ـ ما اسْمُه ؟

ـ مُحمَّد .

ودخـل الراهـبُ صَوْمَعَتَـه ، وهـى المكـانُ الـذى ينقطعُ فيـه للعبـادة ، وسـار الرجـالُ الأربَعةِ ، وهـم يُفكّرون فيما قاله الراهب ، وقد قرَّر كلٌّ منهـم فى نفسه إن رَزقَهُ اللّهُ غلامًا أن يسـمِّيَه مُحمَّـدا ، رغبـةً فى أن يكونَ ذلك النبِيُّ المنتَظرُ من نَسْلِه .

٢

كان عبدُ المطّلبِ ينامُ في الكعبة ، فرأى فى نوْمِه شجرةً نبَتتْ حتى بلغَ رأسُها السّماء ، وامتدّت أغصانُها في المشْرِق والمغْرب ، ورأى النُّورَ يخرجُ من هذِه الشجرة ، وكان نورًا قويًّا ؛ ورأى العربَ والعَجمَ يسْجُدونَ للشّجرة ، وهى تزدادُ عِظَمًا ونورًا وارتفاعا ؛ ورأى ناسًا من قريش قد تعلّقُوا بأغْصانِها ؛ ورأى قوما من قريش يُريدُونَ قطْعَها ، فإذا دَنوا منها أَخّرَهم شابٌّ رائعُ الحسن جميلُ الهيئة ؛ فرفعَ عبدُ المطّلب يَده ، ليتناولَ منها نصيبًا فلم ينلْه ، فقام من نوْمِه مذْعورا .

وجلس عبدُ المطَّلبِ يفكّر فى الحُلْم ، فلم يَعْرِفْ تأويلَه ، فقامَ ليذهبَ إلى كاهنةِ قريش ، لتُفَسِّرَ له هذا الحُلْم ؛ وكان العربُ يستشيرُونَ الكاهِنَ أو الكاهِنَةَ فى سفرِهم ، أو فى زواجِهم أو فى تفسيرِ أَحلامهِم .

فلما دخل عليها لمحَتْ فى وجهِه القَلق ، فقالت :

- ما بالُ سيِّدِهم قد أَتى مُتَغَيِّرَ اللَّون ؟

فقال عبدُ المطَّلب :

- رأيتُ رؤيا أفزعَتْنِى .

وراح يَقُصُّ عليها رُؤْياه ، فلما انتَهى منها ، قالت :

- لئِن تحقّقتْ رؤياك ، ليخرُجَنَّ من صُلْبِك (أى من أولادك) رجلٌ يملِكُ الْمشرقَ والمغرب ، وتدينُ له النَّاس .

وقام عبدُ المطلب منْشَرِحَ الصّدْر ، فلما قابلَ ابنَه أبَا طالب ، قصَّ عليه رؤْيَاه ، وقصّ عليه ما قالَتْه الكاهنة ، ثم قالَ له :

ـ لعَّلك أنْ تكُونَ هذَا المولود !

ولكن لم يكن أبو طالبٍ المولودَ المنتظر ، بل كانَ المولودُ المنتظر لا يزالُ فى بطْنِ أمّه آمِنَةَ بنتِ وهْب .

٣

حَمَلت آمِنَــةُ فما وجدَتْ تعبًا فى الحَمْـل . إنهـا تسمعُ من النّساءِ أنَّ الحملَ يُتْعِبهُن ، ولكنَّهـا لا تجدُ له مَشقَّة . ومـرت الأشـهر ، وإذا بهـا تَـرى أحلامًـا كثيرَة ؛ رأت فيمـا رأت كأنَّـه خــرجَ منهـا نــور ، أضاءَت له قصورُ الشَّام .

وفى ذاتِ ليلة ، راحت فى النَّوم ، فسمِعَتْ هاتِفًا يهتِفُ بها :

ــ يا آمنة ، إنّك حَمَلْتِ بخَيْرِ العالَمين ، فإذا وَلَدْتِهِ فَسَمِّيه مُحَمَّدا ، واكْتُمى شأنَك .

وقامَت آمنةُ من نوْمها ، وتلَّفَتت فلم تجدْ أحدًا فى الغُرفَة ، فذهبَت لتنام ، ولكــنْ لم تُغْمِـضْ لهـا عيْــن ، وكان صوتُ الهاتِف لا يزالُ يَرنُّ فى أُذُنَيها :

ـ يا آمِنة ، إذا وَلَدْتِهِ سمِّيه مُحَمَّدا .

وكَتمتْ آمِنَةُ ما رأَت ، ولَمْ تَذكُرْه لأحَد .

وجاء آمنـةَ المَخَاض ، ووضعَت مـا فـى بطْنِهـا ، فكان وليدُها جميلا نظيفا ، وأرسَلَتْ إلى عبدِ المطّلب رسُولا ، فذَهـبَ إليـه وهـو جـالسٌ فـى الكعْبـة بـينَ ساداتِ قريش ، وقال له :

ـ جاءت آمنةُ بغُلام .

فقـام عبـدُ المطّلـبِ مسـرورا ، وذهـبَ إلى آمنـة ، وحَمَلَ الطّفلَ وهو فرحان ، ودخل بـه إلى الكعبـة ، ثم عادَ به إلى آمنة ، وقال لها :

ـ لقد سَمّيْتُه قُثَم .

كان لعبدِ المطلبِ ولدٌ اسمه قُثَم ، مـاتَ وهـو ابن

تسعِ سنين ، فحزِن عليه حزنًا شديدا ، فلما جاءت آمنةُ بغلام ، أراد عبدُ المطلب أن يُسمّيَه « قُثم » ؛ تخليدا لذِكرَى ابنِه الذى كان يُحبُّه ، ولكنّ آمنةَ قالت له :

ـ أُمِرْتُ فى منامى أن أسمِّيهُ مُحمّدا .

فضمّه عبدُ المطّلبِ إلى صدرِه وقبّله ، وقال :

ـ أرجو أن يكونَ لابنى هذا شأنٌ عظيم .

٥

كـان اليهـودُ يعيشـونَ فـى يَثْربَ (المدينـة) مـع العرب ، وكانوا يقُولون لهم إنَّهم ينتظِرُون نبيًّـا يـأتى ويَهْدى النَّاسَ إلى النُّور ، وإنهم سيَنضمُّون إلى ذلـك النبىِّ عند ظهوره ، وإنهم سيَغْلِبُونَ به العرب .

وكان بعـضُ علمـاءِ اليهـود يقولـون للعـرب : إن هذا زمانُه .

وفـى نفسِ اللّيلـةِ التى وُلـد فيهـا مُحمـد ، كـان يهـودىٌ يرصـدُ النُّجُوم ، فـرأى نَجْمًـا لم يـرَه فـى السَّماء من قبل ، وكان هذا دليلا على مولِـدِ نبىّ ، فقام اليهودىُّ على محلٍّ مرتفع ، وصاح :

ـ يا معشرَ اليهود .. يامَعْشرَ اليهود .

فاجتمع الناسُ حوله ، وراحوا يسألونه :

ـ ماذا جرَى ؟ ... ماذا جرى ؟

ـ أمرٌ جليل .

ـ ويلَك ! مَالَك ؟

ـ طلعَ الليلةَ نَجمُ أَحْمد .

وفى نفسِ اللّيلة ، كانَ يهوديٌ يَمــرُّ على مجالِسِ قريش ، ويقول :

ـ هل وُلِد فيكم الليلَةَ مولود ؟

فينظرُ الناسُ إليه فى عجب ، ويقولون :

ـ واللّه لا نَعْلم .

فيقولُ اليهودىّ :

ـ احفَظُوا ما أقُوله لكم ، وُلِدَ هذه الليلَةَ نبىٌّ هذِهِ الأمة .

كَان اليهودُ ينْتَظِرون مجيءَ محمد ، ولكنه لما جاء إليهم ، ودعاهم إلى اللّه ، كذَّبوهُ ولم يُصَدِّقُوه !

٧

وفى اليومِ السابع من موْلِدِ محمَّد ، أمرَ عبدُ المطَّلبِ بذبحِ الذَبائح ، ودعا عظماءَ قُرَيْشٍ إلى وليمةٍ أعدَّها لهم ، فلمَّا جَاَءُوا وأكلوا ، خرج عليهم بمحمَّد ، فراحُوا ينْظُرونَ إليهِ فى عَطْف وإشْفاق ؛ لأنَّه يتيم ، ولأن أباهَ مات قبل أن يراه .

وقال رجلٌ منهم :

ـ ماذا سمَّيتَه يا أبا الحارث ؟

فقال عبدُ المطلب :

ـ سمَّيتُه مُحمدا !

فقال رجلٌ آخر فى عجَب :

- ما حَملك على أن تُسمِّيَه مُحمدا ، وليس من أسمَاء آبائك ولا قَوْمِك ؟

لم يَشأ عبدُ المُطّلب أن يقولَ لهم إن آمِنَة أُمِرَت فى منامها أن تُسَمِّيَه مُحمدا ، لأنها طَلَبَت منه أن يَكْتم ذلك ، فقال :

- أردْتُ أن يَحْمدَه اللّهُ فى السَّماءِ ، وتَحْمَدَه النّاسُ فى الأرض .

وانصرف النّاس ، وما درَى أحدُهم أن هذا المولودَ الذى أشفَقُوا عليه ، جاء ليُخرِجَهم من الظُّلماتِ إلى النُّور ، وأنّه دعوةُ إبراهيمَ التى دعاها يومَ أمرَهُ اللّه أن يبْنىَ الكعْبة ، ﴿ ربَّنا وابعَثْ فيهم رسولاً منهم ، يتْلُو عليهم آياتِك ، ويُعلّمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكيهم ، إنّك أنتَ العزيزُ الحكيم ﴾ .